أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾

شرح الكلمات:

هواه: الهوى: العشقُ يكون في الخير والشر؛ إرادةُ النفس؛ المَهْوِيُّ محمودًا كان أو مذمومًا، ثم غلب على غير المحمود (الأقرب).

التفسير: يقول المفسرون أن في هذه الآية قلبًا أي تقديما وتأخيرا.. بمعنى أن المفعول الأول لفعل ﴿اتَّخَذَ﴾ قد ذُكر بعد المفعول الثاني، والتقدير: "اتخذ هواه إلَهه"، ومفهوم الآية عندهم أن الكافرين قد تردّوا بحيث إنهم لا يبالون بماذا يقول الله ورسوله، بل أصبحوا عبيدًا لأهوائهم.. أي جعلوا أهواءهم إلـــهَهم حيث ينقادون لها كانقياد المرء لله تعالى (فتح البيان).

ولكني أرى أنه ليس ثمة قلب ولا تقديم ولا تأخير، والمعنى: يا أيها الرسول أرأيت الذي قد جعل إلَهه بدرجة هوى نفسه، بمعنى: أن المرء كما يسيطر على أهوائه كذلك إن هذا يريد أن يسيطر على إلهه، ومن ذا الذي يمكنه أن ينفع مثل هذا الإنسان؟ وكأن قوله تعالى ﴿اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ يعني أنه حَطَّ إلهه إلى درجة أهوائه. فكما أن الإنسان يكون له سلطان على هواه، فما وجد من أهوائه متفقًا مع عقله أو مفيدًا له قَبِلَه، وما رآه ضارًّا رَفَضَه، كذلك يريد هؤلاء أن يكون لهم سلطان على الله تعالى ولا يريدون له الخضوع كلية؛ بل إذا لم يفهموا شيئًا من أوامر الله تعالى، يقولون بكل جسارة: لسنا لنقبل كذا وكذا من الأحكام لأننا لا نفهمه، وإن كان الله تعالى هو الذي قال بهذا.

وهذا العيب قد شاعَ بكثرة في هذه الأيام بين الشباب الذين بهرتهم الحضارة الغربية. فبدلاً من أن يتبعوا أحكام الله تعالى ويعظّموها يظنون أنهم الحاكمون على

الله تعالى، وأنه لا يحق له أن يأمرهم بما لا يرونه مفيدا لهم. ويحضرني بهذه المناسبة حادث وقع معي. ذهبتُ إلى مدينة "بيشاور" في سنة ١٩٤٧ أو ١٩٤٨، فأقام بعض الأحبة مأدبة لي حضر فيها بعض ضباط الجيش من غير جماعتنا أيضا. فذكرتُ أثناء الحديث أمرًا بناء على ما ورد في آية من القرآن الكريم. فقال لي أحد كبار الضباط: إن ما قلته الآن خطأ! فقلت له: يجب أن تقرر أوّلاً أهذه الآية توجد في القرآن الكريم أم لا؟ ثم يجب أن تقرر آلقرآن الكريم كلام الله أم لا؟ ثم أتعني هذه الآية ما بيّنتُه أم لا؟ قال: صحيح أن هذه الآية من القرآن الكريم، وأن القرآن كلام الله، وأن ما تقوله هو ما تعنيه هذه الآية أيضا. قلت: فليس علينا الآن أن نرى فيما إذا كان ما تبيّنه الآية صحيحًا أم لا، وإنما علينا أن نرى هل الله أعلم أم أنت؟ فاحمر وجهه وسكت مليًا، ولكنه كان إنسانا أمينًا يحب أن يقول ما يراه حقًّا، فرفع رأسه بعد قليل وقال: يبدو أنني أعلم من الله تعالى. فضحك الجميع، فتعرّض للمزيد من الندامة.

إذًا، فكثير من الناس يريدون أن يجعلوا الله تابعًا لهم زاعمين أنه لا يحقّ لله تعالى أن يتدخّل في حياتنا الشخصية أو أمورنا القومية والسياسية. ولذلك يقول الله تعالى هنا كيف يمكنك أن تنفع شخصًا قد بلغت به كبرياؤه هذه الدرجة، وقد حطّ معبوده إلى درجة هواه ورغبته. إنما ينتفع الذين يتخذون الله تعالى حاكمًا عليهم، ويقضون على أنانيتهم كلية، وعندها يتجلى فيهم نور الله الذي يميزهم عن الآخرين.

ثم يقول الله تعالى لرسوله إنك ترى من ظاهرهم أنهم يسمعون أحكام الدين ويفهمونه، ولكنهم كالأنعام في الواقع بل هم أضل منها. ذلك لأن الحيوان يميل إلى مُحسنه ويتّبع سيده، أما هؤلاء فيتركون محسنهم ويهربون منه، وقد خلت قلوبهم من عظمته تعالى، فكيف ينالون نصيبًا من رحمته وقربه ﷻ؟

أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٦﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٧﴾

شرح الكلمات:

دليلا: الدليل: المرشد؛ ما به يقوم الإرشاد (أي العلامة) (الأقرب).

التفسير: هذه الآية برهان عظيم على أن الرسول ﷺ صادق، وعلى أن القرآن من عند الله تعالى. ذلك أننا نرى منذ أن ظهر الرسول ﷺ في الدنيا أن ظله لا يزال يمتد ويمتد في شتى النواحي، ولم تأت في حياته ساعةٌ لا يتقدم فيها إلى الأمام. ففي اليوم الأول الذي نـــزل فيه الوحي على النبي ﷺ، وخاف من ضخامة المسؤولية – لأن فتح القلوب ليس بأمر هيّن – رجع إلى بيته فزعًا، وقال لزوجته خديجة – رضي الله عنها: لقد أُلقيتْ عليّ هذه المسؤولية الكبيرة فماذا أفعل؟ فقالت له من فورها: "كلا، والله لا يخزيك الله أبدًا". فكأنه ﷺ بمجرد أن أبدى القلق والتخوُّف مدَّ الله ظلَّه حيث انضمت زوجته إلى دينه. إن النساء قد يُكثرن التردد والتشكك بطبعهن، ولكن خديجة – رضي الله عنها – بمجرد أن سمعت قول النبي ﷺ قالت له: ها أنا أصبح أولَّ أظلاك.

ثم ذهبت خديجة بالنبي ﷺ إلى ورقة بن نوفل، وكان ضليعًا بالعلوم اليهودية والإسرائيلية بين العرب. فحكت له الحادث. فقال ورقة: "هذا الناموس الذي نـــزل الله به على موسى" (البخاري: باب كيف كان بدء الوحي).. أي لقد نـــزل عليه نفسُ الملاك الذي أنـــزله الله على موسى. وهكذا فكأن ورقة بن نوفل قال للنبي ﷺ بلسان حاله: ها أنا أيضًا أصبح ظلاً من أظلالك. إذًا، فقد امتد ظله ﷺ في اليوم الأول مرتين.

ثم رجع الزوجان، وتكلما في البيت حول حادث الوحي، فقام عبدٌ للنبي ﷺ وكان قد أعتقه وقال: اسمح لي بأن أنضم أنا أيضًا إلى أظلالك. ثم قام عليٌّ ذلك الغلام الذي قارب الشباب وقال: أنا أيضا أنضم إلى أظلالك. ولما سمع عن الحادث

أبو بكر الصديق.. صديقُ طفولته ﷺ.. أسرع إلى بيته وقال: يا رسول الله أنا أيضا أصدقك. هذه هي الحقيقة التي بيّنها الله تعالى في قوله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾.

لا شك أن الأنبياء يتعرضون لمعارضة أهل الدنيا كما تعرض لها النبي ﷺ، ولكنا نرى أنه قد انضم إليه منذ أوائل بعثته كل أولئك الذين كانوا حوله أو الذين كان لرأيهم ثقل ووزن، وهكذا قد امتد ظله بدون توقف، ولم يأت عليه يوم واحد لم يمتد فيه ظله، إذ لم يمرّ على دعواه يوم أو يومان أو شهر أو شهران إلا وقد انضم إليه بعض الناس. ففي اليوم الأول الذي تلقى النبي ﷺ فيه وحي الله تعالى امتد ظله، حيث آمنت به خديجة. ثم في نفس اليوم آمن به ورقة بن نوفل حين ذهب إليه. وعندما تحدّث النبي ﷺ عن الأمر في بيته آمن عليٌّ وزيد. ثم في مساء اليوم التالي انضم أبو بكر رضي الله عنه إلى المؤمنين به ﷺ. فكأن الله تعالى لم يخلق له الظل على الفور فقط، بل ما زال يمد ظله باستمرار، وأخذت جماعات أخرى تنضم إليه ﷺ. وعندما بلغ خبر بعثته ﷺ إلى المدينة سارع العديد منهم إليه وآمنوا به. ولما ذهب المسلمون إلى الحبشة أسلم ملِكُها النجاشي أيضا. فثبت أن ظله ما زال يمتد عند كل خطوة باستمرار.

ثم يقول الله تعالى ﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾.. أي لولا نصرة الله لك يا محمد، ولولا أنك رسوله الحقّ، فكان من المفروض أن يجعل ظلَّك قصيرا بدلاً أن يمدّه ويزيده. أفلا ترى نصرة الله لك؟ أفلا ترى أنت وأيضًا خصومُك وأعداؤك كيف أننا نمدّ ظلك باستمرار؟

ثم إن من الظلال ما يكون نتيجة لبعض الأحداث التي هي محض صدفة، وكلما امتدت تلك الظلال أكثر انكشف جليًا أنها إنما تمتدّ نتيجة الأسباب المادية، وليس وراءها تأييد الله ونصرته ﷻ. ولكن الله تعالى يقول لرسوله ﷺ ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً﴾.. أي أن ظلّك لا يمتد فحسب، بل قد جعلنا الشمس عليه دليلا.. بمعنى أن كل إنسان يرى ويدرك أن هذا الظل لم يُصنع بطريق اصطناعي. ذلك لأن الظل يمكن أن يُصنع بوسائل اصطناعية أي أرضية، فمثلاً إذا وضعت المصباح وراء

شجرة صار لها ظل، ولو وضعت الشمعة وراء شيء كان له ظل أيضا. ولكن المصباح أو الشمعة ليست وسائل سماوية، ولكن الشمس وحدها هي الوسيلة السماوية لخلق الظل. ومن أجل ذلك يقول الله تعالى ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً﴾.. أي أن رقيّك يتمّ بوسائل سماوية ونصرة إلهية، لا بأسباب مادية ووسائل إنسانية. ألا يرى عدوّك أنك تحرز الرقي تلو الرقي من ناحية، ومن ناحية أخرى ليس رقيك بأسباب مادية أو أيد بشرية، وإنما هي يد الله التي تدفعك إلى الأمام، وهذا دليل على أنك رسولنا الحق.

ثم يقول الله تعالى ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾.. أي سنقبض هذا الظل وسيأخذ الليل يخيم على الإسلام بعد ثلاثة قرون، ولكن سيطلع النهار ثانية كما نبّأ الله بذلك في قوله تعالى ﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾(الفرقان:٤٨). فيستيقظ المسلمون من سباتهم نتيجة طلوع الشمس مرة أخرى.

وبحسب هذا الوعد الإلهي نرى أن الأحمدية صارت في هذا العصر ظلاً جديدًا للنبي ﷺ. فكل من ينضم إلى الأحمدية وكل من يؤمن بالمسيح الموعود عليه السلام، يتسبب في امتداد ظل النبي ﷺ أكثر فأكثر؛ وكل ما نتلقاه من الله تعالى من تأييد ونصرة ليشكّل برهانًا ساطعًا على صدق قول الله تعالى ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً﴾.

وكل هذا يتم بنصرة الله وتأييده، لا بتدابير البشر. إذ هل هناك مسألة اتبع فيها المسيح الموعود عليه السلام هذه الدنيا. وهل هنا قضية لم يحاول عليه السلام إصلاح أفكار الناس بشأنها؟ هناك عشرات القضايا قد عارض المسيح الموعود عليه السلام تيار أفكار أهل هذا العصر عند شرح تعاليم القرآن بصددها، وبدلاً من أن يتبع الناس جعلهم يتبعونه. فمثلا إن الناس في هذا العصر مهتمون جدًّا بموضوع الاقتصاد، حتى يقول كثير منهم إن الحرب بين الأديان حرب زائفة، وإنما النـــزاع الحقيقي هو حول الخبز، ولو حُسم هذا النـــزاع لانتهت الحروب بين الأديان أيضًا. ومع ذلك قد

نهى سيدنا المسيح الموعود عليه السلام عن الإضراب والتأمين* والربا (ملفوظات: المجلد الثالث ص ١٦٧-١٦٨، والمجلد الخامس ص ١٧٢-١٧٣)، وبالتالي قد قضى على أسباب خبز الناس في الظاهر. فإذا كان النـــزاع في الدنيا حول الخبز فقط، فكان من المفروض أن يهرب الناس من مؤسس هذه الجماعة عليه السلام بسبب تعليمه، ويقولوا إن هذا الرجل يمنعنا من الخبز، ويمنعنا من الربا، وينهانا عن التأمين وعن الغش والاحتيال بكل أنواعه، وهذا ما لا نستطيع أن نتحمله. ولكن ما حدث هو أن مئات الآلاف من الناس هرعوا إليه رغم هذا التعليم.

ثم إن هذا العصر هو عصر اللادينية، حتى إن أعرق الأسر الإسلامية أيضا أخذت تتخلى عن الثقافة الإسلامية، وهناك تيار معاد للدين في العالم على وجه العموم. ولكن المسيح الموعود عليه السلام قد حثّ أتباعه على التمسك بالدين. وبرغم أن نسبة المثقفين بين أفراد جماعتنا أكثر من غيرنا بفضل الله تعالى، ومع ذلك إنهم أكثر اهتمامًا بالدين من الآخرين، ويسعى المسؤولون في الجماعة جاهدين ليصبح أفرادها أكثر تمسكا بالدين من ذي قبل.

ثم إن هذا العصر عصر الإضرابات. فقد أصبح تشكيل الأحزاب ضد الحكومات والقيام بالإضراب ضد أصحاب الأعمال والمصانع والأساتذة أمرًا عاديًا، ويعتبرونه سلاحًا لا بد منه لتحقيق مطالبهم. ولكن المسيح الموعود عليه السلام نهى عن الإضراب بكل أنواعه، ورغم ذلك ينضم إلى جماعتنا كثير من الطلاب والشباب العاملين في الدوائر الحكومية مع أن الطلاب والشباب هم الذين يقومون بالإضرابات عادة. كما أن العمال أيضا يدخلون في جماعتنا، مع أن هذا التعليم للمسيح الموعود عليه السلام يتنافى مع مصالحهم.

فالله تعالى يؤكد لنا في قوله ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً﴾ أن كل رقي تحرزونه لن يتم بالتدابير الإنسانية. وهذا لا يعني أن نمتنع عن اتخاذ الوسائل المادية، وإنما المعنى أن الله تعالى هو الذي سيهيئ لنا الوسائل المادية أيضا ولسنا نحن.

---

* أي التأمين على الحياة. *(المترجم)*

إذًا، فإن الله تعالى قد جعل النبي ﷺ شجرة ظليلة لن يبرح ظلها يكبر ويكبر كل يوم وفق النبوءة الواردة في قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾. فإذا كان محمد ﷺ مفتريًا، ألم يكن الله قادرا على أن يوقف نمو هذه الشجرة وامتداد ظلها؟ ولو كانت التدابير البشرية وراء امتداد هذا الظل ولم يكن الله تعالى معه، فكان من المفروض أن يوقف تعالى امتداده. ولكنه تعالى ولم يزل يمدّه بتأييده ونصرته وصار دليلا على صدقه، بدلاً من أن يوقفه ويجعله ساكنًا. فالجماعة التي لا يمحوها الله تعالى بل يزيدها وينمّيها، هل تبقى شبهة في صدقها وكونها من عند الله تعالى؟

لما فتح النبي ﷺ مكة أمَر بقتل بعض ألدّ أعداء الإسلام الذين قتلوا بعض المسلمين، أو قاموا بتحريض الآخرين على قتلهم، أو مثّلوا بجثث الشهداء المسلمين. وكانت هند من بين هؤلاء الذين صدر الحكم بقتلهم. عندما علمت هند بهذا القرار النبوي، جاءت متنقبة متنكرة مع مجموعة من النساء اللاتي أتين النبي ﷺ ليبايعنه. فأخذت تردد معهن كلمات البيعة وراءه ﷺ. ولما قال ﷺ: قُلن لن نشرك بالله أحدًا، لم تملك هندٌ – الجياشةُ بطبعها – نفسها، وقالت من فورها: يا رسول الله، هل نشرك بالله تعالى بعد كل هذا؟ كنتَ وحيداً، وكنّا أُمةً قوية، ورفعتَ وحدك صوت التوحيد، فقرّرنا جميعًا كبت صوتك وتوطيد عظمة آلهتنا، واستمرت المواجهة التي بذلنا فيها كل ما في وسعنا، فأصبحنا ننتقص وننكمش، وأصبحت تتقدم وتزدهر، ولم نبرح نلقى هزيمة بعد هزيمة، ورحتَ تحرز نصرًا بعد نصر. فلو كانت آلهتنا تملك أي قدرة ما كان لك أن تنتصر. إن انتصارك علينا، رغم كونك وحيدا، لدليل على أن لا خير في آلهتنا، وأن الله الأحد هو الذي يحكم هذا العالم، وهو الذي نصرك وهزمنا. فقال الرسول ﷺ: أنتِ هند؟ وكانت هند تعرف أنها ليست وحدها خاضعة لحكم الإسلام بل إن الرسول ﷺ أيضا خاضع لحكمه، فقالت: نعم! أنا هند، ولكن هند المسلمة، ولن تستطيع الآن أن تضرني شيئًا لأن الإسلام يهدم ما سلف من الذنوب. (الطبري: سنة ٨، ذكر الخبر عن فتح مكة)

فإذا كان التأييد الرباني حليفًا لأحد كان دليلا على صدقه وصلاحه. وعلامة التأييد الرباني لجماعة هي أنها لا تزال تتقدم رغم المعارضة من أهل الدنيا، ولا يحول حائل دون رقيها وازدهارها. ذلك لأن الله تعالى يأتي لنصرة الجماعة المؤمنة ويؤازرها ويمدّ ظلها ويقويها، ولولا نصرة الله لهذه الجماعة لبقي ظلها ساكنًا في مكانه.. أي لم يحرز أفرادها أي رقي في الدنيا. وكما أن المرء يعرف جهة الظل بمعرفة موقع الشمس، كذلك يعرف المرء برؤية أنواع التأييد الإلهي أي الفريقين سينتصر ويتقدم.

بيد أن نصرة الله لا تكون على حالها دائمًا، بل إذا فسد القوم بعد مرور فترة يتخلى الله عن نصرتهم، فيغيب ذلك الظل أي الرقي. فعليكم أن تسعوا دومًا أن يجعلكم الله وأولادكم ظلاً للرسول ﷺ يمتد باستمرار، وأن يوفّقكم أن تحموا ظله ﷺ دائما وتتسببوا في امتداده باستمرار، لكي تتحقق نبوءةُ جعلِ الشمس دليلا على امتداد ظله ﷺ في كل عصر، ولتحالفكم نصرة الله بدون انقطاع، وتفشل التدابير البشرية ضدكم.

وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٨﴾

شرح الكلمات:

سُباتًا: السبات: الدهرُ؛ النومُ؛ وقيل ابتداؤُه في الرأس حتى يبلغ القلبَ؛ وقيل أصله الراحةُ (الأقرب).

التفسير: لقد بيّن الله تعالى هنا أن ظاهرة الليل والنهار والنوم نعمة عظيمة من نعم الله تعالى، إذ يعمل الليل للمرء عمل اللباس، فيغطي كثيرًا من عيوبه، حيث يكون الإنسان في حالة النوم في وضع لو انكشف على الناس وقت النهار لتعرض للندامة والفضيحة، ولكن عيوبه هذه تظل خفية على الناس بسبب الليل، إذ يكون

الآخرون أيضًا نائمين في ذلك الوقت. كما أن النوم مجلبة للراحة حيث يستعيد الجسم قوته ونشاطه ثانية، ولولا النوم لأصيب الإنسان بالجنون في بضعة أيام. فإنما هو النوم الذي يحافظ على قوى الإنسان وطاقاته كلها، فيبدأ عمله في كل صباح بنشاط متجدد.

ثم يقول الله تعالى ﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾.. أي جعله سببًا لانتشار الناس. فترى القوم ينتشرون في ضوء النهار، ويجرُون في كل طرف وصوب ويدبّرون أسباب معيشتهم.

وإن ظاهرة الليل والنهار هذه نجدها في حياة الأمم أيضا، إذ يأتي عليها زمن الليل حينًا وزمن النهار حينًا آخر. إن عيوبهم كلها تظل خفية في فترة الليل، ولكن عندما يبعث الله تعالى أحدًا من عنده للإصلاح يطلع من خلاله نهار جديد، فلا يرى الإنسان تقصيرات الآخرين فحسب، بل يطّلع على عيوبه أيضًا، فيتحمس لإصلاح نفسه من جديد ويترقى بالتدريج.

وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحۡيِۦَ بِهِۦ بَلۡدَةً مَّيۡتًا وَنُسۡقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقۡنَآ أَنۡعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَٰهُ بَيۡنَهُمۡ لِيَذَّكَّرُواْ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَبَعَثۡنَا فِى كُلِّ قَرۡيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾

التفسير: أي أن الله هو الذي يرسل الرياح التي تحمل البشرى للناس، وينـــزل من السحاب ماءً مطهِّرًا تحيا به القرى الميتة، ويسقيه الحيوانات وكثيرا من الناس.

وكل هذه الأمور يضعها الله أمام الناس كمواعظ ليهتدوا بها.. أي ليدركوا برؤية الماء المادي أن الله تعالى لا بد أن يكون قد أنـــزل الماء الروحاني أيضا. ولكن الناس يقدرون الماء المادي، ويرفضون الماء الروحاني. ولو شاء الله لبعث في كل قرية رسولاً، ولكنه لا يبعث رسوله إلا في قرية واحدة فيخرج منها للتبليغ في المنطقة كلها. فيا أيها الرسول، لا تتّبع ما يقول الكافرون، بل جاهِدْهم بهذا القرآن جهادًا كبيرًا.

لقد شبّه الله تعالى هنا الوحي بالماء، وبيّن أننا كما ننشر الماء المادي بين الناس ونحيي به البلاد الميتة، كذلك قد نعرض عليهم القرآن، ولكن أكثرهم يكفرون بهذه النعمة. إنهم يقبلون نعمة الماء، ويرفضون نعمة الوحي التي هي أفضل من الماء، وكأنهم يؤثرون الأحجار على الذهب والفضة كما يفعل الصبيان الصغار. فذات مرة ذهبتُ إلى بومباي وكانت هناك في تلك الأيام قضية ساخنة في بعض المحاكم. فكان أحد الصاغة فقَد ستين جوهرة تبلغ قيمتها الملايين. فقدّم بلاغا لهذا الحادث للشرطة، فقامت الشرطة بالتحقيق وقبضت على شخص، ووجدت عنده الجواهر المفقودة. وعندما سئل قال: كنت أمرّ في الشارع، فوجدتُ بعض الأولاد يلعبون بهذه الجواهر ظنًّا منهم أنها بلورات زجاجية؛ وأخذتُ منهم الجواهر وأعطيتُهم بعض النقود. فعُلم فيما بعد أن الصائغ كان أخرج من جيبه منديلا، وسقط معه مظروف كان قد وضع فيه الجواهر؛ فوجدها الصبيان وظنوا هذه الجواهر التي يبلغ ثمنها الملايين بلورات زجاجية.

وهذه هي حال الناس، فإنهم يقدرون الماء الذي يصبح آسنًا ونتنًا متعفنًا بعد فترة من الزمن، ولكنهم لا يقدّرون الماء الروحاني ويرفضونه مع أنه سينفعهم وأجيالهم في المستقبل، ولا ينفعهم في هذه الدنيا فقط، بل في الآخرة أيضا، ويغيّر حياة الإنسان كلية. وهذا ما يؤكده الله تعالى هنا فيقول ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلا كُفُورًا﴾.. أي أن معظم الناس يكفرون بنعمتنا هذه دائمًا، مع أننا لو أردنا لبعثنا في كل قرية نذيرًا.. بمعنى أننا لو أردنا إقامة الحجّة عليهم في عجلة، لأرسلنا في كل قرية نبيًا ينذرهم، عوضًا عن أن نبعثه في القرية المركزية التي تنتشر منها دعوته في

كل المنطقة شيئًا فشيئًا. ولكنا لم نبعث في كل قرية نذيرًا، إذ لو كفرت كل قرية رسولها لشمل العذاب كل قرى العالم دفعة واحدة، وهلك الناس أجمعين. ولكنّا لا نفعل الآن هكذا، بل نقيم الحجّة أوّلاً على العرب فيحل بهم العذاب، ثم بعد فترة نقيم الحجة على الفرس فيحل عليهم العذاب أيضًا، ولو بُعث إلى كل قرية نبي لحل العذاب بكل قرية وبكل مدينة.

لذا يقول الله تعالى لنبيّه: فلا تطع هؤلاء الكافرين فيما يقولون، بل جاهِدْهم بالقرآن الكريم جهادا كبيرا.. أي جهاد التبليغ والدعوة. وهذا هو الجهاد الذي يخافه المسلمون اليوم ويتهربون من القيام به بحجة أن الجهاد الأصلي هو جهاد السيف، كما يتهربون من جهاد السيف أيضًا بحجة أن العدو أقوى منهم. إن مشايخهم يفتون ويقولون: هلموا، أيها المسلمون، وقاتلوا الأعداء، فيقولون لهم: تعالوا يا شيوخنا وعلماءنا وقاتلوا الأعداء، لأنكم زعماؤنا وقادتنا. ثم يهرب الطرفان إلى البيوت. هذا برغم أن الله تعالى قد أعطانا ذلك السيف الذي لا يصدأ أبدًا، ولن يفل ولا ينكسر في أي حرب أبدًا. لقد مضى عليه ثلاثة عشر قرنا، وقد أرادت أمم كثيرة قوية كسر هذا السيف لكي يصبح عديم النفع إلى الأبد، ولكنهم فشلوا في ذلك. إنه سيف القرآن الكريم الذي أعطانا الله إياه. إنه هو السيف الذي نستطيع به فتح العالم كله. ولذلك يقول الله تعالى ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾.. أي أن كل جهاد سواء أكان بالسيف أو بالنفس أو بأي شكل آخر، أقلُّ شأنًا من الجهاد بالقرآن. إن الجهاد بالقرآن هو الجهاد الكبير العظيم. إنه السيف الذي مَن سقط عليه قُطع رأسه ومن سقَط هو عليه ضرب عنقه، أو دخَل في الإسلام طائعًا لينال الحياة الخالدة. إذا كان الإسلام لم ينتشر في العالم كله رغم انقضاء ثلاثة عشر قرنا فليس سببه أن هذا السيف قد أصبح مفلولا، بل إن من أكبر دواعيه أن المسلمين تركوا استعمال هذا السيف. لقد أقام الله الأحمدية اليوم وناوَلها هذا السيف مرة أخرى، وأراد أن يجعل دينه غالبًا على الأديان كلها ثانية، ولكن بعض الأغبياء من الفرق الأخرى يتّهمون المسلمين الأحمديين بأنهم لا يؤمنون بالجهاد. إنما مثل هؤلاء كمثل الذين يحاولون الهجوم على حصن العدو بالمقالع، فيراهم آخرون

ويقولون متى تُفتح الحصون بالمقالع، فيُحضرون لهم المدافع، ولكن هؤلاء بدلاً من أن يشكروهم يعترضون عليهم قائلين: لماذا تهاجمون العدو بالمدافع، ولا تهاجمونه بالمقالع كما نفعل نحن؟ إن هؤلاء الأغبياء يعتبرون أنفسهم أول المجاهدين عن الإسلام مع أنهم لم يُدخلوا طيلة حياتهم شخصا واحدا في الإسلام، ومع ذلك يتهمون بإنكار الجهاد قومًا قد بلّغوا دعوة الإسلام إلى شتى أنحاء العالم. يدرسون الصرف والنحو من الصغر إلى الكبر حتى يُفنون عقولهم بقراءة هذين العِلمين. لا يعلمون ما القرآن، ولا يرفعون بصرهم طيلة حياتهم إلى القرآن، ولا يتدبرون في معانيه ومعارفه ومطالبه أبدًا؛ ومع ذلك يتّهمون بإنكار الجهاد شخصًا تنخلع بسماع اسمه قلوب القساوسة المسيحيين، ويخافون أن يخوضوا في النقاش مع أدنى غلمانه وخدامه عليه السلام. عندما أعلن المسيح الموعود عليه السلام دعواه كان المسلمون عديمي الحيلة وفي غاية الكسل. لم تبق عند عامة المسلمين قوة العمل، أما الخواص منهم فكانوا يمدّون أيديهم إلى المسيحية للتصالح خوفًا من هجماتها. وكان خدام الإسلام قد اتخذوا موقف الاعتذار أمام الأوروبيين الذين كانوا يعترضون على بعض الأحكام الإسلامية بأنها غير صالحة للعمل. عندها انبرى مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية، وأعلن احتجاجه الشديد على الموقف الاعتذاري الذي اتخذه المسلمون، وقال بصوت عال وبكل شجاعة إن الإسلام ليس بحاجة إلى أي معذرة. إن كل حكم من أحكامه مليء بالحِكم، وكل أمر من أوامره حق وصدق. وإذا كانت أوروبا لم تستطع أن ترى محاسن الإسلام، فهو لأنها عمياء أو لأننا نحن المسلمين لم نقرّب إليها نبراس الإسلام كما ينبغي. فليست السبيل إلى حماية الإسلام أن نعتذر، بل أن نبلّغ تعاليمه الأصيلة إلى الأوروبيين. وفي الوقت الذي لم يتصور فيه أحد أن أوروبا سترغب في الإسلام، قام المسيح الموعود عليه السلام بتوزيع مقالاته المترجَمة للإنجليزية في أوروبا. وعندما وهب الله تعالى له الجماعة بيّن لأتباعه أن الجهاد ركن هام من الإسلام، فلا تغفلوا عنه أبدًا. لا بد من الجهاد في كل عصر، تمامًا كما لا بد لنا من القيام بالصلاة والصوم والزكاة والحج وغيرها من أحكام الإسلام في كل زمن.

لقد قال عامة العلماء القدامى أن الصلاة والصوم والزكاة مقدّمة على الحجّ، ثم يأتي الجهاد درجة (فتح البارئ: كتاب الإيمان، باب دعاؤكم إيمانكم). فقال العلامة ابن رشد إن الجهاد يأتي بعد الصلاة والصوم والزكاة، ثم يأتي بعده الحج. ولكنا لو تدبرنا الأمر لوجدنا أن قول العلماء القدامى أصحُّ، لأن الذي لا يواظب على أداء الصلاة والصوم والزكاة والحج لا يمكن أن تتولد فيه روح الجهاد، فكيف يقوم بالجهاد؟ إذًا، فإن الصلاة والصوم والزكاة والحج أحكام هامّة جدًّا للمؤمن، ومن المستحيل أن تتولد فيه روح الإسلام ما لم يعمل بها. فإذا تحلى بروح الإسلام فعليه أن يخرج للتصدي لكل العالم غير الإسلامي حاملاً القرآن في يده، ومن أجل ذلك فقد خاطب القرآن الكريم هنا المسلمين بصدد الجهاد خطابًا فرديًا وليس جماعيًا، واعتبره فرضًا على كل مسلم. وفي هذا دليل أن المراد الحقيقي من الجهاد هو الجهاد بالقرآن لا الجهاد بالسيف، لأن الجهاد بالسيف مشروط بالاستطاعة والقوة، والقوة تكون بالتجمع. أما الجهاد بالقرآن فلو كان هناك مؤمن واحد كامل الإيمان فإن الإسلام يفرض عليه الخروج للجهاد بالقرآن، وسينضم إليه الآخرون شيئًا فشيئًا. ولذلك تجد سيدنا المسيح الموعود عليه السلام قد خرج وحده للجهاد ضد قساوسة المسيحيين وزعماء الهندوس وغيرهم، ثم وهب الله له الجماعة أيضًا بالتدريج.

كما بين حضرته عليه السلام للناس أن الله تعالى قد جعل الجهاد نوعين: جهادًا في أيام الحرب، وجهادًا في أيام السلم. فإذا شن قوم الهجوم على المسلمين بسبب إسلامهم ليردّوهم عن دينهم بالقوة، كما فعل أهل مكة في عهد الرسول ﷺ، فإن الله تعالى يأمرهم في هذه الحالة بأن يردوا على السيف بالسيف. ولكن إذا لم يمنع هؤلاء الناسَ من الدخول في الإسلام، فأيضًا لا ينتهي الجهاد، بل أمر الله سبحانه وتعالى المسلمين أن يأخذوا في أيديهم سيف البرهان والتبليغ كي لا يتوقف ازدهار الإسلام في أيام السلم أيضًا كما لم يتوقف في أيام الحرب، ولكي ينتشر نور الإسلام في فترة الحرب وفي فترة السلم أيضًا، ولكي لا تضعف القوة العملية في المسلمين.

ولكن بما أن القوى العملية في المسلمين كانت قد أصيبت بالشلل في ذلك الزمن، فعارض زعماؤهم المسيحَ الموعود عليه السلام في قضية الجهاد أيضًا. فبما أنهم كانوا لا يريدون العمل من جهة، ومن جهة أخرى كانوا لا يريدون أن يقروا بأنهم يتهربون من العمل، فقد مكروا مكرا عجيبا، وأخذوا يشيعون بين الناس أن مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية منكرٌ للجهاد!. والحق أنه بهتان عظيم وافتراء مبين. إن حضرته عليه السلام لم يلغِ الجهاد قط، وعلى النقيض قد أعلن أنه لا بد من العمل بحكم الجهاد في كل عصر كأي ركن من أركان الإسلام. ولكن بما أن الجهاد بالسيف في كل وقت مستحيلٌ، وبما أن الكسل مدمر لأي جماعة، فقد جعل الله الجهاد قسمين، فإذا تعرض الإسلام للهجوم بالسيف فلا بد من الجهاد بالسيف؛ وإذا انتهى هجوم الكفار على الإسلام بسيف الحديد فمن واجبنا أن نهاجمهم بسيف القرآن. إذًا، فلا يمكن تركُ الجهاد في أي وقت، بل لا بد للمسلمين من الجهاد حينًا بالسيف وحينًا بالقرآن.

إذًا، فكان هناك خصام عجيب، لأن الشخص الذي كان يدعو المسلمين إلى الجهاد وكان يُفتي بأن الجهاد واجب في كل زمن، كانوا يتّهمونه بإنكار الجهاد؛ أما الذين كانوا لا يخرجون للجهاد لا بالسيف ولا بالقرآن، فكانوا يُعَدّون من المؤمنين بالجهاد. وكل عاقل يدرك أن هذه الفتاوى كان يمكن أن تعيق طريق الجماعة الإسلامية الأحمدية، ولكنها ما كانت لتنفع الإسلام أبدًا. كان الإسلام ملقًى في الميدان كزين العابدين رضي الله عنه في ميدان كربلاء بدون نصير أو معين. كان المسلمون يدّعون أنهم يؤيدون نظرية الجهاد الإسلامي، ولكن ما حدث فعلاً أنهم تركوا ساحة القتال خالية لأعداء الإسلام، وتوجهوا إلى محاربة جماعتنا التي كانت تقوم بالجهاد للإسلام بالفعل. ولكن قد رأت الدنيا اليوم بعد تجربة طويلة أن خطة العمل التي قدّمها مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية عليه السلام كانت هي الخطة المثلى؛ إذ لم يستطع المسلمون حتى اليوم أن يقوموا بالجهاد بالسيف رغم كل تلك الضجة التي لا يزالون يثيرونها ضد جماعتنا منذ سبعين سنة. لم يوفَّق حتى اليوم أي من المشايخ الذين أفتوا علينا بالكفر أن يحمل السيف، ولكن الله تعالى قد كتب

للأحمديين الذين يجاهدون بالقرآن فتحًا في كل موطن. لقد تمكنوا، بفضل الله تعالى ورغم معارضة المشايخ، من أن ينتزعوا مئات الآلاف من أتباع الأديان الأخرى ويأتوا بهم إلى حظيرة الإسلام، وأدخلوا في الإسلام عشرات الآلاف من الأوروبيين والأمريكان والأفارقة الذين كانوا يسبّون سيدنا ومولانا محمدًا رسول الله ﷺ من قبل. فأضحى أعداء الرسول ﷺ اليوم يصلّون ويسلّمون عليه تسليمًا.

يقول البعض أن هذا الانقلاب إنما يرجع إلى التنظيم المحكم للجماعة الإسلامية الأحمدية. ولكن السؤال الذي يفرض نفسه: كيف وُفِّقنا لهذا التنظيم المُحكم، بينما انتزع الله هذا التوفيق من الآخرين؟ ليس سبب ذلك إلا أن الآخرين لم يتّبعوا الطريق السليم لخلق القوة العملية فيهم. إن الجنود إذا لم يُدرَّبوا تدريبًا صحيحًا لا يقدرون على القتال عند الحاجة. وإن الأمة التي لا تخوض في الجهاد كل حين لا تقدر على الجهاد في المواقف الحاسمة. فثبت من هنا أن الفتح كان حليفًا للمسيح الموعود عليه السلام في هذا المجال أيضًا، إذ إن الأمر الذي أدركته بصيرته الثاقبة لم يفطن إليه الآخرون. لقد حاربته الدنيا، فكان مصيرها الهزيمة، أما هو فقبِل هذا التحدي وانتصر.

وجدير بالذكر هنا أن العقيدة التي بيّنها المسيح الموعود عليه السلام عن الجهاد لم يكن هو الوحيد الذي اعتنقها، بل هذا هو مذهب غيره من علماء الإسلام أيضًا، فمثلا قال الإمام الراغب الأصفهاني: "الجهاد ثلاثةُ أضربٍ: مجاهدةُ العدوِّ الظاهرِ، ومجاهدةُ الشيطان، ومجاهدةُ النفس." (المفردات)

ورُوي أن المولوي نذير حسين الدهلوي أمير جماعة "أهل الحديث" قال: إن الثورة التي قام بها بعض المسلمين ضد الحكومة الإنجليزية سنة ١٨٥٧م لم تكن جهادا مشروعًا، بل كانت خيانةً وغدرًا وفسادًا وعنادًا، وأن الذين اشتركوا فيها وساعدوا من اشترك فيها كانوا آثمين. (مجلة إشاعة السنّة، مجلد ٦ عدد ١٠ ص ٢٨٨: أكتوبر ونوفمبر ١٨٨٣)

وكتب السير سيد أحمد خان عن هذه الثورة:

"إن تشاوُر المسلمين وتآمُرهم بكل شدة لكي يتحدوا ويجاهدوا ضدّ أتباع الأديان الأخرى ليتحرروا من حكومتهم لأمرٌ لا جواز له مطلقًا. ما دام المسلمون يتمتعون بالأمن تحت ظل حكومتنا، فما كان جائزًا لهم أن يقوموا بالجهاد داخل حدود هذه الحكومة. فقبل حوالي عشرين أو ثلاثين سنة قام شيخ كبير يُدعى الشيخ محمد إسماعيل بجولة في كل الهند يحثّ الناس على الجهاد، ولكنه قال صراحة: لا يجوز لسكّان الهند الذين يتمتعون بالأمن تحت ظل الحكومة الإنجليزية، أن يجاهدوا ضدها. وعندما اجتمع آلاف الجهاديين من شتى مناطق الهند، لم يثيروا أي فساد داخل حدود الحكومة الإنجليزية، وإنما ذهبوا إلى الحدود الغربية وحاربوا (السيخَ) في منطقة "البنجاب"." (اسباب بغاوت هند (أي أسباب الثورة في الهند) للسير سيد أحمد خان ص ١٠٤-١٠٥)

ويقول الشيخ رشيد رضا في تفسيره "المنار":

"إن الأفرنج ومقلّديهم وتلاميذهم من نصارى الشرق يزعمون أن الجهاد هو قتال المسلمين لكل من ليس بمسلم لإكراههم على الإسلام، وإن لم يعتدوا ولم يعادوهم. وقد علمتَ مما تقدَّمَ آنفًا وما سنفصّله به تذكيرًا بما فصّلناه من قبل، أن هذا كذبٌ وافتراءٌ على الإسلام" (تفسير المنار: سورة التوبة، قوله تعالى: قاتِلوا الذين لا يؤمنون... إلخ)

ويقول أيضًا:

"فعُلِمَ من هذا التفصيل أنه ليس في مسألة جهاد العدو بالسيف إجماعٌ من المسلمين إلا في حال اعتداء الأعداء على المسلمين، وحينئذ إذا أعلن الإمامُ النفيرَ العامَ وجبتْ طاعتُه، وإذا استنفر بعضَهم كالجندِ المرابطِ والمتعلمِ وغيرهم وجبتْ طاعتُه، فإنه يطاع في الواجب الكفائي كالواجب العيني". (المرجع السابق)

إن الشيخ المودودي يحثّ على الجهاد كثيرا في هذه الأيام، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو: يجب أن نرى، على ضوء فتاوي العلماء، مَن الذي يدعوه المودودي إلى الجهاد؟ إذا كان المودودي نفسه إمامًا واجبَ الطاعة، فلن يعمل بفتواه إلا أتباعه دون الآخرين. ثم هلّا يخبرنا أحد من أتباع المودودي كَمْ منهم

يقاتلون غير المسلمين بالسيوف فعلاً؟ وإذا لم يكن أحد منهم يقوم بالجهاد الذي يفتي به شيخهم المودودي فثبت أنه ليس ثمة رجل صالح واحد بين أتباعه. فتسمية الجماعة المودودية بجماعة الصالحين حمقٌ وغباء. إن الجماعة التي لا تطيع أميرها ولا تطيع القرآن الكريم أيضًا كيف يمكن أن تُسمى صالحة؟ والأمير واجب الطاعة عند أتباعه إذا لم يأمرهم بالجهاد رغم إيمانه بضرورة الجهاد، لا يمكن أن يسمى أميرا صالحًا أيضًا.

مجمل القول إن سيدنا مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية عليه السلام لم يأمر أتباعه بصدد الجهاد إلا ما أقرّه العلماء الأسلاف على مر العصور. أما لفظ "النسخ" أو "الحرام" الذي قد استعمله حضرته عليه السلام بصدد الجهاد، كما ورد في شعره بالأردية:

دیں کے لئے حرام ہے اب جنگ اور قتال

(تحفة غولروية (ضميمة)، الخزائن الروحانية المجلد ١٧ ص ٧٧) – أي حرامٌ الحرب والقتال من أجل الدين الآن – فإنما يقصد به ذلك النوع من الجهاد الذي لا يجوز في هذا العصر، وليس أن الجهاد حرام بأي شكل حقيقةً وللأبد. والدليل على ذلك هو أن حضرته عليه السلام يعتبر نفسه من أمة المصطفى ﷺ، وما دام الجهاد فريضة من الله ورسوله، فكيف يحق لأحد من أمة المصطفى ﷺ أن ينسخ حكمًا لله ولرسوله؟ لقد صرّح حضرته في كتبه مرارًا وتكرارًا أن القرآن الكريم شريعة أبدية وكل لفظ منها قابل للعمل، ولا يمكن أن يتبدل أي حكم من أحكامها إلى يوم القيامة. فقد كتب حضرته عليه السلام:

"إن رقبتي تحت نير القرآن الكريم، وليس لأحد أن ينسخ حتى نقطةً أو حركةً واحدةً من القرآن الكريم". (مجموعة "اشتهارات" (بالأردية) المجلد الثالث ص ٥٩٧، وجريدة "أخبار عام" لاهور ٢٦ مايو ١٩٠٨م)

ولفظ النسخ بمعنى إلغاء الشيء مؤقتًا مستعمل في اللغة العربية، فقد ورد في المفردات للإمام الراغب – وهو قاموس رائع لبيان معاني مفردات القرآن الكريم:

"النسخ إزالةُ شيءٍ بشيء يتعقّبُه، كنسخِ الشمسِ الظلَّ والظلِّ الشمسَ والشيبِ الشبابَ."

أي أن النسخ في بعض الأحيان يكون مؤقتًا كما تنسخ الشمسُ الظلَّ والظلُّ الشمسَ، وأحيانًا يكون أبديًا كما ينسخ الشيبُ الشبابَ للأبد.

فبما أن القرآن الكريم شريعة أبدية فلا يمكن أن يُستعمل لفظ النسخ بصدد أي حكم من أحكامه إلا بمعنى التأجيل والتأخير. كما صرّح مؤسس الجماعة عليه السلام بنفسه في بيت شعر له بالأردية:

فرما چکا ہے سید کونین مصطفی

عیسی مسیح جنگوں کا کر دیگا التوا

(تحفة غولروية (ضميمة)، الخزائن الروحانية المجلد ١٧ ص ٧٨)

أي أن سيد الكَونَينِ المصطفى ﷺ قد سبق أن أخبر أن عيسى المسيح الموعود سيؤجّل الحروب.

لقد ثبت من هنا أن كل ما قاله حضرته عليه السلام عن الجهاد إنما كان بمعنى تأجيله وليس بمعنى نسخه للأبد، إذ قد صرّح هنا أيضًا وقال: لستُ أنا الذي أفتي بتأجيل الجهاد في هذا العصر، بل إن الرسول ﷺ نفسه قد أخبر بذلك.

ويتضح من كتاباته عليه السلام جليًا أنه من الممكن تمامًا أن يضطر المسلمون للجهاد بالسيف في وقت من الأوقات في المستقبل. فقد كتب حضرته عليه السلام ما تعريبه:

"من الممكن، بل من الممكن تماما..أن يأتي في زمن من الأزمان مسيح تنطبق عليه بعض كلمات الأحاديث حرفيًا، ذلك لأن هذا العبد المتواضع لم يأت بالحُكم والمُلك المادّيين، بل جاء بحُلّة الزهد والفقر. وما دام الأمر كذلك فما هي المشكلة التي يواجهها العلماء؟ فقد تتحقق أُمنيتهم أيضًا في يوم من الأيام." (إزالة أوهام، الخزائن الروحانية المجلد الأول ص ١٩٧-١٩٨)

فثبت أن مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية عليه السلام قد أعطى بصدد الجهاد نفس التعليم الذي قدّمه القرآن الكريم، وأن الجهاد الذي قد تم تأجيله في زمنه هو الجهاد بالسيف، إذ لا تتوافر في هذا العصر الظروف والشروط التي توجب الجهاد

بالسيف. بيد أن حكم الجهاد بالقرآن أهمُّ وأوكدُ من حكم الجهاد بالسيف، وقد قضى حضرته عليه السلام كل حياته في هذا الجهاد الذي قد أكد الله عليه بقوله ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾.. أي جاهدْ غير المسلمين بالقرآن فهو الجهاد الكبير. فقد قال صاحب "روح المعاني" في تفسير قوله تعالى ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾: "أي بالقرآن... وذلك بتلاوة ما فيه من البراهين والقوارع والزواجر والمواعظ وتذكير أحوال الأمم المكذِّبة... فإن دعوة كل العالمين على الوجه المذكور جهادٌ كبيرٌ." (روح المعاني)

إذًا، فلفظ الجهاد الذي قد ظنّه المسيحيون شيئًا مخيفًا إنما هو في الحقيقة التبليغ والدعوة. والواقع أن الجهاد الحقيقي ليس ذلك الذي يكون بالسيف، بل ذلك الذي يكون بالقرآن الكريم.. أي الذي يتم بالأدلة والبراهين، حيث يتم غزو القلوب بالآيات والمعجزات. ولكن المؤسف أن المسلمين ظنوا أن القتال بالسيف هو الجهاد فقط، وكانت النتيجة أنهم لما نالوا الحُكم والغلبة جلسوا مطمئنين دون أن يقضوا على الكفر تمامًا في العالم. ولو أنهم فهموا حقيقة الجهاد كما بيّنها سيدنا المسيح الموعود عليه السلام.. أي لو أدركوا أن الجهاد اسمٌ لكل فعل يتم لإرساء الخير والتقوى، وأن الجهاد كما يتم بالسيف فإنه يتم كذلك من خلال إصلاح النفس وتبليغ الإسلام والتضحية بالمال، وأن لكل نوع من الجهاد ظروفَه وشروطَه، لَما رأوا هذا اليوم التعيس. ولو فهم المسلمون هذا التعريف للجهاد، لما ظنوا أن الجهاد قد انتهى حين نال الإسلام الغلبة الظاهرة، بل أدركوا أنه قد انتهى نوع واحد من الجهاد فقط، وأن عليهم أن يستمروا في القيام بغيره من أنواع الجهاد. ولو فعلوا ذلك لم ينتشر الإسلام في بلاد الشرق فقط، بل لكانت أوروبا اليوم أيضا مسلمة، ولم يتعرض الإسلام للزوال والانحطاط نتيجة رقيّ الأوروبيين وازدهارهم.

باختصار، إن المسيح الموعود عليه السلام قد نبّهنا إلى أنواع مختلفة للجهاد وظروفه. إنه لم يقل أن الجهاد بالسيف ممنوعٌ للأبد، بل أخبرنا أي الجهاد مناسب في هذا العصر بحسب الشرع. ثم قام بهذا الجهاد عَمليًا بكل حماس وشدّة، وبلّغ دعوة الإسلام إلى كل العالم. إذا كان الجهاد بالسيف فرضًا اليوم، فالسؤال الذي يطرح

نفسه هو: هل كل مسلم خرج لمحاربة الكفار حاملا السيف؟ عندما يُعرَض المسلمون الأحمديون على ربهم سيقولون له: يا رب لم يكن الوقت وقت السيف بالجهاد برأينا، وإذا كنا أخطأنا فهو خطأ اجتهادي. ولكن ماذا سيجيب به المشايخ المعارضون لنا؟ هل يقولون: يا رب، كنا نؤمن أن الوقت وقت الجهاد، وكنا نوقن أن الجهاد قد صار فرضًا علينا، ولكننا لم نقم بالجهاد بالسيف، لأن قلوبنا وجِلتْ منه، كما لم نأمر غيرنا من المسلمين الذين لم يكونوا خائفين من القتال بأن يخرجوا للجهاد بالسيف، لأننا خِفْنا من أن يقبض علينا الكفار ويعاقبونا!؟ وبوسع كل إنسان منصف أن يحكم بنفسه أي الفريقين سيكون جوابه مقبولا عند الله تعالى؟

الحقيقة أن مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية عليه السلام لم يوقظ بهذا التعريف للجهاد المسلمين من سباتهم فحسب، ولم يفتح لهم طريقًا واسعًا للرقي والتقدم فحسب، بل أنقذهم من إثم كبير، ذلك لأنهم كانوا يؤمنون بأن الوقت وقت الجهاد بالسيف ولكنهم لم يقوموا بالجهاد باعتباره فرضًا واجبًا عليهم، وهكذا كانوا قد أصبحوا آثمين بهذا الإحساس بالذنب؛ ولكنهم كلما اعترفوا الآن بالتعريف الذي قدمه المسيح الموعود عليه السلام عن الجهاد زال عن قلوبهم الشعور بالذنب وأدركوا أنهم لم يغدروا بالله وبرسوله بعدم قيامهم بالجهاد بالسيف، وأن مؤسس الجماعة الإسلامة الأحمدية قد أحسن إليهم أحسانًا عظيما حين نبّههم إلى فريضة تبليغ الإسلام.

وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٤﴾

شرح الكلمات:

مَرَجَ: مرَجَ اللهُ البحرينِ العَذْبَ والملحَ: خلَطهما حتى التقيا؛ وقيل: خلّاهما لا يلتبس أحدُهما بالآخر. (الأقرب)

فُراتٌ: الفرات: الماءُ العذب جدًّا، أو الذي يكسِر العطشَ لفرط عذوبته. (الأقرب)

التفسير: لقد بيّنتُ آنفًا أن فعل مرَج يعني خلَط، وعليه فالمراد من قول الله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ أنه تعالى قد خلَط البحرين، أحدهما عذبٌ يجلب السكينة لشاربه، والآخر مالحٌ مرٌّ. وبرغم أنهما مختلطان إلا أنه يظل بينهما حاجز يفصلهما دائمًا. القاعدة أنه إذا خُلط شيء حلو بشيء مالح تكوَّنَ شيءٌ ثالث جديد مختلف عنهما. فمثلاً إن بعض الناس يضيفون الملح إلى الشاي الحلو فيصبح شيئًا عجيبًا، وأنا أسميه شايًا منافقًا دومًا، ولا يعجبني إطلاقا. ولكن الله تعالى يقول هنا إن اختلاط هذين المائين لا يولّد ماءً منافقًا، بل نقول لهما ﴿حِجْرًا مَحْجُورًا﴾.. أي أيها المختلطان، لا يمتزجنَّ أحدكما بالآخر، بل يجب أن يظل كل واحد منكما منفصلا عن غيره.

لقد أشار الله تعالى في هذه الآية إلى أمر هام، وهو أنه تعالى قد جعل بحكمته البالغة نوعين من الذخائر المائية في العالم المادي أحدهما البحر الذي ماؤه مالح، وثانيهما النهر الذي ماؤه حلو. وقد جعل بينهما حواجز وفواصل حتى لا يفسد أحدهما الآخر. وبالفعل ترى أن ماء البحر المالح لا يفسد ماء النهر العذب، كما لا يقدر الماء العذب النهري على إزالة مرارة المياه البحرية.

كذلك قد جعل الله تعالى علامات بيّنة وحدودا فاصلة بين تعليم السماء الذي يشبه الماءَ العذبَ وبين تعليم الكفر الذي يشبه الماءَ المالح. هذا لا يعني أن الكافر لا يمكن أن يصبح مؤمنًا وأن المؤمن لا يمكن أن يصبح كافرا، بل المراد أن الكفر لا يمكن أن يتحول إيمانًا، كما أن الإيمان لا يمكن أن يتحول كفرا، وإنما يظل بينهما فرقٌ بيّن واختلاف واضح، بحيث إنه برغم أن المؤمنين يعيشون مع الكافرين في بلد واحد ومدينة واحدة وحارة واحدة، ويعملون معًا، وتكون بينهما علاقات وصلات، ويشاطرون الأفراح والأتراح؛ ومع ذلك تكون بينهم منافاةٌ تامة وفرقٌ واضح من الناحية الروحانية، فلا يجني أتباع الدين الباطل ما يجنيه أصحاب الدين

الحق من الثمار والبركات، وكأن هناك برزخًا يفصل بين الفريقين دائمًا. فإن الذي يتّبع الدين الحق يتشرف بوحي الله وكلامه، وتستجاب أدعيته بكثرة، وتنكشف عليه العلوم السماوية والمعارف الروحانية، أما الكافر الجالس بجنب هذا المؤمن فيأتى إلى الدنيا أعمى، ويذهب منها كأعمى، لأنه يظن ماءَ الحياة سمًّا زعافًا فلا يشربه، ويظن السمَّ ترياقًا فلا يزال يشرب منه.

قصارى القول إن هناك حكمة وراء وجود الكفر والإيمان معًا في هذه الدنيا، ولكن الله تعالى قد جعل بينهما حاجزًا يميز بينهما على الدوام.

وعلاوة على هذه المقارنة بين الكفر والإيمان، فإن هذه الآية تتضمن نبوءةً عن الفتنة الدجالية الغربية أيضًا. ذلك أن القرآن الكريم قد استعمل هنا كلمات ﴿هَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾، ولفظ ﴿أُجَاجٌ﴾ يشير إلى شعوب يأجوج ومأجوج. بينما استعمل القرآن إزاء ذلك لفظ ﴿عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ لأهل الإسلام. أما قوله تعالى ﴿حِجْرًا مَحْجُورًا﴾ فقد بيّن تعالى فيه أنه لا مناص لكم من العيش مع هذه الأمم الغربية، ولكن يجب أن لا تنسوا أبدًا أنكم ﴿عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ وهم ﴿مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾، فلا تقلّدوا الغربَ أبدًا، بل عليكم، رغم عيشكم بينهم، أن تقولوا لهم في أمور دينكم صراحة: لا يمكن أن نتّفق في هذا المجال، فهناك بون شاسع بيننا وبينكم. وهذا الأمر الرباني يماثل ما أوصى الله تعالى به المؤمنين بأن يقولوا للكافرين صراحة ﴿لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۞ وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾(الكافرون:٣-٤)، وأن يظل بينهم وبين الكافرين برزخٌ على الدوام.

لقد أخبر الرسول ﷺ نفسه أنه لم تكن هناك فتنة أعظم من فتنة الدجال منذ أن خلق الله الدنيا (مشكاة المصابيح: باب العلامات بين يدي الساعة وذكر الدجال، ومسلم: كتاب الفتن، باب في بقية من أحاديث الدجال). لقد ثبت من هنا أن الفتن التي ظهرت في العصور الماضية ضد الدين كانت محلية فقط. فمثلاً كانت الفتنة التي ظهرت في الهند مستقلة، ولم تتأثر من فتنة تقع في إيران؛ وكانت الفتنة الإيرانية مستقلة وما كانت تتأثر من فتنة يونانية؛ وكانت الفتة المصرية مستقلة، فما كانت تتأثر من فتنة إيرانية ولا من فتنة يونانية. ولذلك فما كانت هذه الفتن تهاجم الدين هجومًا

موحدًا، بل كان مثلها كمثل قطاع الطرق الذين يعيثون في الأرض الفساد هنا وهناك. لا شك أن نشاطاتهم تهدد أمن البلاد، ولكنها لا تهدد الحكومة، لأن الحكومات إنما تُدمَّر نتيجة النشاطات التي تقوم بها عصابات قوية منظمة. أما في هذا العصر فبسبب اختراع شتى وسائل الاتصال والمواصلات من قطار وبرقية وهاتف ومطابع وما إلى ذلك، فقد أصبحت آسيا تؤثر على أفريقيا، وأفريقيا على آسيا، وتتفاعل أوروبا مع أمريكا، وأمريكا مع أوروبا، فانتشرت الفوضى الدينية في كل بلاد العالم على حد سواء. فالفرق الواضح بين هذه الفتنة والفتن السابقة أنها أصبحت فتنة عالمية. فمثلاً ليست اليابان دولة مسيحية، ومع ذلك فإن أفكارها تابعة لتيار الأفكار الغربية. وبرغم أن الصين ليست دولة مسيحية ولكن أفكارها أيضًا صارت تابعة للغرب. ونفس الحال بالنسبة لإيران وتركيا والجزيرة العربية فهي ليست بلادا مسيحية، بل هي إسلامية في الظاهر، ولكن أفكارها أيضًا أصبحت تابعة لأفكار الغرب. باختصار إن كافة الحركات والتيارات تبدو لك منظومة في سلك واحد، الأمر الذي زاد هذه الفتنة خطرًا. كان الناس في الماضي يقولون مثلاً إن الإيرانيين أو اليونان يقولون كذا، أما اليوم فيقولون إن كل إنسان عاقل يقول كذا. ولو قيل لأحد في الماضي إن الإيرانيين يعتقدون هكذا، فكان السامع يقول في نفسه: ربما لا يؤمن باقي العالم بما يعتقده الإيرانيون، فكان لا يصاب بالرعب. وكان الأمر الواقع أيضًا هكذا إذ لم تكن السيئة الواحدة منتشرة في العالم كله، بل كان بعض الأقطار مصابًا بسيئة وبعضها مصابًا بسيئة أخرى. فمثلاً إذا كان الإلحاد منتشرًا في الهند، كانت إيران مصابة بالفسوق؛ وإذا كانت اليونان تحت تأثير الفلسفة كانت مصرُ خاضعة للوثنية. لذا فما كانت اعتراضات أعداء الدين متماثلة، كما لم تكن معارضتهم موحدة ولا منظمة. أما في هذا العصر فقد أصبحت أفكار جميع الناس تابعة لتيار فكري واحد، وكل حركة تنشأ في أي قطر من العالم يكون هدفها واحدًا فقط.. أي أن تُبعد الناس عن الله تعالى وتأخذهم إلى المادية. فسواء ذهبتَ إلى الصين أو اليابان أو إيران أو أفغانستان أو سيبيريا، وجدت

مرضًا واحدًا بأن كل إنسان يُؤْثِر الدنيا على الدين، ويسعى لمحو حب الله تعالى من قلوب البشر. ولكن الأمر لم يكن هكذا من قبل في كل العالم في وقت واحد قط.

والأمر الآخر الذي يميز هذه الفتنة عما سبقها من الفتن، هو أن الهجمات الماضية على الدين كان لها طابع فلسفي، والفلسفة أساسها الوهم والخيال، أما الهجمات المعاصرة على الدين فأساسها العلم (SCIENCE)، والعلم أساسه المشاهدة والملاحظة. ويمكن للمرء أن يرد على الهجمات الفلسفية بكل شجاعة ويقول إن هي إلا افتراضات وأوهام، ولكن يصعب على المرء أن يرد على من يهاجم الدين بناء على المشاهدة والملاحظة. فالفيلسوف يقول إن الحياة الدنيا هي الحياة، لا حياة بعد الموت، إذ من ذا الذي قد رأى ما يقع بعد الموت حتى يقال إن هناك راحة وسكينة بعد الموت؛ ومن الممكن أن يتأثر البعض من قول الفيلسوف هذا، ولكن يمكن للمرء أن يرد على وسوسة الفيلسوف هذه: صحيح أن لا أحد قد رأى الثواب والعقاب الذي يكون بعد الموت، ولكنك متى شاهدت وتأكدت من أنه ليس هناك أي ثواب وعقاب بعد الموت؟ وهكذا تصبح كلتا النظرتين سواءً في نظر العلم. ولكن الذي يبني اعتراضه على تركيبة ذرات العالم مؤكدًا أن كل ذرة في الكون مزودة بنظام يساعد على استمرار نظام الكون من تلقائه؛ فلا حاجة لإدارة هذا الكون إلى أي كائن آخر؛ فاعتراضه ذو طابع آخر لم يوجد في الوسوسة الفلسفية السالفة الذكر.

ثم إن الفتنة المعاصرة ضد الدين تتميز بطابع ثالث، وهو أنه في الماضي كان الفلاسفة وحدهم مَن يعارض وجود البارئ تعالى، أما اليوم فقد انبرى علماء النفس وعلماء طبقات الأرض وعلماء الهيئة والأفلاك وغيرها من العلوم ليشنّوا على الإسلام هجومًا موحدًا، ثم إن هذا الهجوم أشد شراسة من الهجمات الماضية. ففي الماضي كانوا يقولون: إن فلانًا من الفلاسفة قد أنكر وجود البارئ، ولا ندرى مدى صحة كلامه، أما اليوم فيقال: من أية زاوية نظرت ستصل إلى نتيجة واحدة حتمية وهي إنه ليس هناك أي إله – والعياذ بالله.

باختصار، إن الكفر يهاجم الإسلام اليوم بجميع أسلحته هجومًا لم يسبق له نظير كثافةً وشراسةً. ففي الماضي كان الأعداء أقل عددًا، وكانت هجماتهم متفرقة غير موحدة. فكان للهجوم الفارسي طابع، وللهجوم الياباني طابع آخر، أما اليوم فإن العالم كله خرج يهاجم الله تعالى من جبهة واحدة. ثم إنهم كانوا يهاجمونه في الماضي بسلاح الفلسفة فقط، أما اليوم فيهاجمونه بأسلحة جميع العلوم المتداولة. فلم يبق هناك شك في أنه لا يوجد اليوم في العالم فتنة مثل هذه الفتنة الدجالية. ونتيجة غلبة هذه الفتنة على الدنيا لم يبق للإسلام شيء في الدنيا. فلا تُطبَّق في أي مكان في العالم أحكام الإسلام سواء المَدَنية أو السياسية أو الاقتصادية أو الشخصية. لقد تغير كل شيء اليوم. فما لم يكن عندنا نوع من الحماس المنقطع النظير، وما لم نبغض هذه الحضارة الغربية بغضًا لم نكن مثله تجاه أي شيء آخر، لن ننجح في تغيير هذه الأوضاع ولن نفوز في هدفنا. فكل من هو مغرم بالحضارة الغربية منا لا يصلُح للروحانية. يجب أن لا نذوق طعم النوم الهادئ ما لم ندكّ دكًّا الحضارةَ التي عرضت سيدنا ومولانا محمدًا ﷺ على العالم بصورة مخيفة، وقامت بتشويه حضارتنا الإسلامية. لن يكتب النجاح للذين يقلّدون الغرب وينجرفون في تيار الحضارة الغربية. يجب أن نتميز غيظًا وغيرةً برؤية أي شيء من الحضارة الغربية، إذ من المحال أن يجتمع الإسلام والحضارة الغربية في مكان واحد. فإما أن تحيا حضارة الإسلام أو حضارة الغرب. ذلك لأن أساس الحضارتين على مبادئ متباينة متغايرة تمامًا، فمن المستحيل أن تجتمعا في مكان واحد. إن الحضارة الغربية تتأسس كليةً على ملذات الدنيا والمتع المادية، أما أساس الإسلام فيرتكز كلية على رضوان الله تعالى والروحانية وتهذيب الأخلاق، فاجتماعهما محال تمامًا.

ولكن يجب أن تتذكروا دائمًا أن هناك فرقًا بين حضارة الغرب وشعوب الغرب كالإنجليز وغيرهم. فإنهم أيضًا أناس مثلنا، ويمكن أن يهتدوا، أما الحضارة الغربية فلا يمكن أن تنصلح أبدًا. إنها سلاح الشيطان، وما لم نكسر هذا السلاح لن يسود السلام الحقيقي في العالم أبدًا. هذا هو البرزخ الذي لا أزال أحثّ المسلمين الأحمديين على الحفاظ عليه حين أدعوهم إلى الانضمام إلى مشروع "تحريك

جديد"، وأحذرهم دائمًا من الإذعان لتأثير الحضارة الغربية. إن المسلم الأحمدي الذي يريد الماء العذب الفرات سيبتعد عن تأثير هذه الحضارة الفاسدة حتمًا، إذ من المحال أن يمتزج الماء العذب الفرات بالماء الملح الأجاج. كذلك أقول للمسلمين غير الأحمديين أيضًا إن عليهم أن يأخذوا الحذر كله من تقليد الحضارة الغربية سواءً أصدّقوا دعوة سيدنا المسيح الموعود عليه السلام أم لا. ذلك لأن ما أدعو إليه ليس من تعليم حضرته عليه السلام، وإنما هو من وصية الرسول ﷺ، بل هو أمرٌ من الله الذي أرسله ﷺ. ولكن واأسفاه وواحسرتاه، فإن هناك فئة من المسلمين تقلّد الحضارة الغربية في كثير مما يتعلق بالأكل والشرب واللباس والاجتماع والمعاشرة، ثم يبتهجون بذلك ويفتخرون. كما أن بعض الشباب من جماعتنا أيضًا ينجرفون وراء هذه الحضارة رغم النصح والتحذير. إن هؤلاء أحمديون بالاسم فقط، وليسوا بأحمديين في الحقيقة أبدًا.

أتذكر جيدًا أن بعض المسلمين غير الأحمديين قال لسيدنا المسيح الموعود عليه السلام ذات مرة: لماذا لا تسمح لأتباعك أن ينشئوا العلاقات معنا في الزواج وغيرها من القضايا والمعاملات؟ فأجاب حضرته عليه السلام: إذا كان عندك إناء مليء بالحليب الخالص ومزجت به بضع قطرات من اللبن الرائب شديد الحموضة، ألا يفسد كل الحليب؟ إن الناس لا يدركون هذه الحكمة، ولا يدرون أنه لا بد لاستمرار القوة العَملية في القوم مِن فصلهم عن الآخرين حمايةً لهم من تأثيراتهم الضارة. إننا اليوم في حرب روحانية ضد أعداء الإسلام، ولو عشنا مختلطين بالذين قد انهزموا هزيمة نفسية أمام الأعداء بل أصبحوا مقلدين لهم، لأصبحنا نحن أيضًا مقلدين للغرب وغافلين عن الجهاد بالقرآن الكريم. لذا فعلينا أن لا نختلط بالجماعات الأخرى لمصلحة الإسلام والمسلمين أنفسهم، لكي لا نصبح غافلين ولا ننسى فريضة تبليغ الإسلام كما نسيها المسلمون الآخرون. إن جنود الإسلام قلة، ولو تقاعس هؤلاء القلائل أيضًا فكيف يذودون عن حياض الإسلام ضد الأعداء؟

في الأيام التي كنت مقيمًا في مدينة لاهور من أجل علاج زوجتي "أم طاهر" – رضي الله عنها – جاء أحد المشايخ لزيارتي في حوالي الساعة العاشرة ليلا في أحد

الأيام، فقال لي خلال الحديث: إن جماعتكم جماعة رائعة، وتخدم الإسلام خدمة عظيمة، ولكن فيكم عيب واحد، وهو أنكم لا تختلطون بنا، ولا تصلّون وراءنا، ولا تتزاوجون فينا؛ ولو أصلحتم هذا العيب لم تكن في الدنيا جماعة أفضل من جماعتكم. فقلت له: إن هؤلاء القوم الذين تثني عليهم إنما جاءوا من بينكم. وما داموا قد خرجوا إلينا من بين صفوفكم، وقد أحدث فيهم تعليم حضرة مؤسس الأحمدية عليه السلام هذا الانقلاب الطيب العظيم الذي تراه، فهل تريد منهم أن يرجعوا إلى المسلمين الآخرين ثانية ليصبحوا متقاعسين وغافلين مثلهم مرة أخرى؟ وكان الشيخ ذكيًا فقال: لقد فهمتُ الأمر الآن. يجب أن لا تختلطوا بغيركم من المسلمين أبدًا، بل عليكم أن تظلّوا منفصلين، لأنكم لو اختلطتم بهم ثانية لن تستطيعوا بذل الجهود التي تبذلونها الآن لنشر رسالة محمد ﷺ، وستنتهي دعوة الإسلام في العالم. وإني أحمد الله أنه توجد في العالم جماعة واحدة على الأقل تنشر اليوم اسم محمد رسول الله ﷺ في العالم.

فالحق أن هذا الماء العذب الفرات سيظل منفصلاً عن الماء الملح الأجاج، وسيبقى بينهما برزخ يحول دون امتزاجهما.

لقد ذكر القرآن الكريم أن بعض الشعوب قالوا لذي القرنين إن يأجوج ومأجوج يفسدون في أرضنا، فاجعَلْ بيننا وبينهم ردمًا يمنعهم من الوصول إلينا حتى لا يفسدوا بيننا (الكهف: ٩٥). وحيث إن المسيح الموعود عليه السلام هو ذو القرنين لهذا العصر، فمن الممكن تمامًا أن يكون المراد من إقامة ردم على يد ذي القرنين إقامة حاجز بين الإسلام والحضارة الغربية في هذا العصر، ويكون المراد من الشعبين أفكارًا قومية متباينة من الجانبين.

على أية حال، إن من واجبنا أن نجعل بين الإسلام والحضارة الغربية سدًّا حتى لا تجد بعد ذلك طريقًا للنفوذ بيننا، وتصبح الجيوش الإسلامية محفوظة في حصن كي لا يفلح الشيطان في شن الهجوم عليه.